

أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا

Geometric thinking patterns and their presence in Spinoza's philosophy

أ.م.د. سالي محسن لطيف

الجامعة المستنصرية- كلية الآداب - قسم الفلسفة

Assistant Professor Doctor Sally Mohsen Lateef

AL-Mustansiriya University- College of Art

Sallymohsen77@uomustansiriy.edu.iq

المستخلص :

حاول سبينوزا بناء منهجه الهندسي من خلال نمطاً فكرياً يكونه العقل ويفصح عن قدراته المكنونة، حيث أكد على تطهير العقل من الشوائب التي تشوه قدرته للوصول إلى اليقين .

وقد خصّ سبينوزا منهجه الهندسي في كتابه (علم الأخلاق) حيث عرض افكاره من خلال القضايا المطروحة والتي تهم الانسان وتفكيره والبرهان عليها ، إذ اهتم بانفعالات الانسان وأخلاقه وحاول أن يرسم له طريقاً يسوده النمط الفكري الهندسي بالاعتماد على القياس والاستدلال والبرهان من أجل الوصول إلى اليقين وبالتالي الوصول إلى الكمال الانساني .

وعدّ أن القدرة الالهية الجوهرية اللانهائية هي أساس جميع الموجودات، فالله هو الذي يبيث القدرة والحياة في كل ارجاء العالم، لهذا سأوى سبينوزا بين الجوهر والوجود على أساس أن الطبيعة الطابعة (الجوهر) تتبثق منه الطبيعة المطبوعة (الوجود).

من هنا كان تفكير سبينوزا عميق ومترابط، إذ يسعى بنمطه الفكري الهندسي إلى الوصول إلى السعادة، وهذا النمط يسير وفق توجيه الفكر الخاضع لمعايير فكرية صحيحة والتي تحول القضية الموجبة إلى سالبة ثم يبرهن عليها بالخلف.

ركز سبينوزا على فكرة الديمومة اللانهاية وجعلها من البنى الأساسية لكل الوجود لما في ذلك الانفعالات الموجودة في داخل الانسان وكل التحولات التي تطرأ على الوجود.

وتبقى الديمومة التي تتضمن التحولات المستمرة نحو كمالات أكثر أو أقل والتي تتمثل في القدرات الفاعلة التي تضمن العالم المتوازي بشكل كامل ، أي ذلك العالم الذي ضم كل من الجوهر الفاعل والوجود المنفعل.

ويتعلق النمط الهندسي بالقوة الكامنة فيها وفي الظواهر المحيطة بنا والتي غرسها الله والتي تمثل انعكاسا لقدرته الفائقة على الإبداع.

وهذا يعني أنه كلما طور الإنسان عقله كلما ازداد فهما لقواه التي يمتلكها ولنظام الطبيعة، وبالتالي كلما ازدادت قدرته على توجيه نفسه ووضع أحكاماً لها ،وازداد وعيه لذاته وللوجود ككل. وهذه القدرة أودعها الله فيه من هنا كان عالمنا هو ذلك العالم المتوازي وفق وحدة الوجود ككل.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، سبينوزا، النمط، العقل، الله، التفكير، الوجود.

Abstract:

Spinoza tried to build his engineering approach through an intellectual pattern, that the mind forms and reveals its hidden capabilities, as Spinoza stressed on purifying the mind from impurities that distort its ability to reach certainty.

Spinoza singled out his engineering approach in his book (science of Ethics) more than the rest of his presenting his ideas through the issues raised and demonstrating them, and caring about human issues, emotions and morals. And he tried to draw for him a path dominated by the engineering intellectual pattern, relying on analogy, inference, and proof in order to reach certainty and thus reach human perfection. And he considered that the infinite, essential divine power is the basis of all beings, for God is the one who spreads power and life throughout the universe. That is why Spinoza equated existence with essence on the basis that essence emanates from existence. From here, Spinoza's thinking was very deep and coherent, seeking, with his geometrical intellectual pattern, to reach happiness, as the geometric pattern of

thinking proceeds according to the directives of thought subject to correct criteria of thought that transform the positive case into amative one. And then prove this backwards.

Spinoza focused on the idea of infinite continuity and made it one of the basic structures for all emotions and transitions. There remains continuity, which includes continuous transformations towards more or less perfections, which is represented in the active capabilities that completely organize the parallel world. That is, the world includes both active Essene and passive existence.

Durability remains, which includes continuous transformations towards greater or less perfection, which is represented in the active.

Capabilities that fully include the parallel world, that is, that world that include both active essence and passive existence.

The geometric patterns related to the power inherent in us and in the phenomena surrounding us, which were in still by God, and which represent reflection of his superior ability to create.

This means that the more man develops his intellect, the greater the understanding of his power that he possesses and the order of nature, and thus the greater his ability to direct himself and establish judge mints for it, and the greater his awareness of himself and existence as awhile. And this ability was deposited by God in him. Hence our world was parallel world according to the unity of total existence.

Key Words: pattern-mind-God-thinking-existence.

المقدمة:

يمثل سبينوزا علامة فارقة في تاريخ الفلسفة بشكل عام وتاريخ الفلسفة الحديثة بشكل خاص، إذ مثلت أفكاره ذات الخط العقلائي نظاماً متكاملًا ودقيقاً للوجود ككل وللإنسان أيضاً.

حأول سبينوزا بناء هذه الأفكار وفق نمطاً هندسياً، وهو يمثل منهجه المتبع في فلسفته العقلية. وكان هدفه من ذلك بيان قدرة العقل في التخلص من الشوائب التي تعرقل قدرته في الوصول إلى اليقين.

من هنا أنبثق الدافع لكتابة هذا البحث لأجل الوصول إلى طريقة جديدة في التفكير الصحيح وفق أدوات المنهج الهندسي التي هي (الاستدلال والقياس والبرهان). وهذا ما استعمله سبينوزا في منهجه ووضحه في كتاباته

، فهو لجأ إلى طريقة المعادلات والتي تنطبق على كتابه (البحث اللاهوتي السياسي)، لكن في الحقيقة أن تطبيق المنهج الهندسي بشكله الأكمل والأدق كان في كتابه (علم الأخلاق) (فؤاد زكريا، 2017، صفحة 55).

لذا اقتصر بحثي هذا في تطبيق سبينوزا المنهج الهندسي على كتاب (علم الأخلاق) و (رسالة في اصلاح العقل).

إذن كيف وظف سبينوزا منهجه الهندسي على العالم والانسان، وكيف وظفه على العقل الانساني وجعله نمطا فكريا ينظم الأفكار بطريقة صحيحة وبنفس الوقت معتمدا على بيانات هندسية دقيقة وكيف عد الجوهر (الله) الأساس لجميع الموجودات الذي انبثقت منه العالم ونسجه نسيجاً هندسياً.

كانت خارطة البحث تتكون من ثلاثة محاور وهي :

المحور الأول: مدخل إلى طبيعة التفكير الهندسي عند سبينوزا.

المحور الثاني: نمط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم.

المحور الثالث: نمط التفكير الهندسي للإنسان وتغيير الذات.

المحور الأول: مدخل إلى طبيعة التفكير* الهندسي* عند سبينوزا*

يعد سبينوزا من أبناء الاتجاه العقلي، حيث ينتمي إلى المدرسة العقلانية التقليدية لذا نجده متأثراً بكل من : (ديكارت - لايبنتز)، وكان سبينوزا يوصف نفسه بأنه نظام عقلائي متكامل، إذ إنه تأثر بإيحاءات هندسة إقليدس، وكانت له ثقة قوية بقدرة العقل البشري على الوصول إلى رؤية يقينية مطلقة من خلال البديهيات والاستدلالات الاستنباطية (غفار سكريبك، 2012، صفحة 436). ولأجل الوصول إلى هذه الرؤيا اليقينية (Certain Vision) أكد سبينوزا على أنه يجب علينا ((وقبل كل شيء التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره قدر الإمكان حتى يوفق في إدراك الأمور على أحسن وجه ودونما خطأ. ويغدو جلياً من الآن، في نظر كل واحد، أنني أريد توجيه جميع العلوم نحو غاية واحدة وهدف أوحده، وهو بلوغ ذلك الكمال الإنساني الأعظم الذي تحدثت عنه، وبالتالي ينبغي أن نطرح عرض الحائط كل مالا يفيدنا في العلوم للإقرباب من هدفنا)) (سبينوز، 1990، صفحة 31).

إذن المنهج الهندسي الذي يبغيه سبينوزا يرتكز على العقل الخالي من أي شوائب تشوه قدرته الفعالة في الوصول إلى اليقين، وهذا العقل أيضاً هو الذي يوصلنا إلى رقي الوعي الإنساني.

لقد خص (سبينوزا) منهجه الهندسي في كتابه (الأخلاق) إضافة إلى طريقة عرضه للأفكار في بقية الكتب، لكنه أهتم بالمنهج الهندسي أشد الاهتمام في كتابه هذا لأن غاية النظر عنده العمل ولأن اتجاهه الأساسي أخلاقي كما هو الحال عند الرواقيين والطريقة القياسية فيه مفتعلة، إذ أنه تتأول الظواهر المعلومة بالملاحظة الظاهرة أو الباطنة، وحولها إلى نتائج أقيسة تحويلاً صناعياً (يوسف كرم، 2012، صفحة 114). فالشكل الهندسي عنده لا تكون فيه عمليات الارجاع إذ يكون حضور المثال العقلاني للعقل الذي يمكن ان يأخذه في شبكة عقلية واحدة وتكون استنتاجية (Geenevieve, 2002, p. 22).

إذن منهجه المتبع يحيل القضية الموجبة سالبة ثم يبرهن على هذه بالخلف، كأن يقصد قبل كل شيء إلى منع الرد عليه (المصدر نفسه، صفحة 115) أي أن المنهج الجيد - حسب رأي سبينوزا - هو المنهج الذي يبين كيف يكون توجيه الفكر وفقاً لمعيار الفكرة الصحيحة، كوننا نثبت ذلك بواسطة الاستدلال. لكن هذا الأمر ليس ثابتاً بذاته، لأننا نسأل عما إذا كان استدلالنا استدلالاً جيداً، فإذا كان كذلك فلا بد أن ننطلق من الفكرة المسلم بها. أما إذا كانت نقطة الانطلاق هذه تحتاج بدورها إلى برهان، فلا بد من استدلال ثانٍ تبرهن به على الأول، ولابد من ثالث نبرهن على الثاني وهكذا (سبينوزا، صفحة 39).

وهذا يعني أن الهندسة تبدأ بقضايا صادقة وصدقها نابع من ذاتها، ومن ثم نبرهن على صدق هذه القضايا عن طريق استدلال المنهج الهندسي، إذن هو أوسع نطاقاً عنده، إذ إنه يمثل اختباراً نفسياً لقدرة الذهن على التخلص من الارتباطات التقليدية للألفاظ (فؤاد زكريا، 2017، صفحة 48) . وبهذا يكون سبينوزا قد قدم حسابات عقلانية قوية عن ضرورة وإمكانية العقل من اصطناع طرق عديدة توصله إلى اليقين في عالم تحكمه قوانين سببية صارمة (Michael, 2008, p. 1) فمن خصائص العقل قدرته على امتلاك الأفكار عن الأشياء (Ibid, p. 89).

فالعقل يستخدم في البداية ما وهب له من قوة فطرية في صنع أدواته العقلية التي زادت من قوته على القيام بعمليات عقلية أخرى، ومن هذه انتقل إلى أدوات عقلية أخرى ساعدته على متابعة أبحاثه حتى وصل إلى قمة الحكمة.

وبالتالي نصل إلى تحقيق السعادة التي هي غاية سبينوزا حيث تتجلى وضوح الفكرة من خلال ماهيتها الذاتية حيث يطلق على هذه الفكرة اسم (الفكرة الراقية)، (الفكرة الصادقة) (The honest idea) (كريم متى، 2001، صفحة 93).

والفكرة الصادقة التي اتخذها سبينوزا نقطة ارتكاز لفلسفته هي (فكرة أكمل كائن) (The most perfect being).

وليست هذه الفكرة المجموع الكلي للأفكار بل هي فكرة بسيطة معطاة أي أنها فكرة قبلية تصدر عنها الأفكار الأخرى كلها (المصدر نفسه، صفحة 96) ((كل الأفكار التي تنتج في النفس عن أفكار تامة، تكون بدورها أيضاً أفكاراً تامة)) (باروخ سبينوزا، صفحة 123) ونصل إلى هذه الأفكار التامة من خلال معرفة قدرة العقل، وهذه القدرة تكمن أنه كلما ازداد العقل علماً ازداد فهماً لقواه ولنظام الطبيعة. وكلما ازداد فهماً لقواه ازداد قدرته على توجيه نفسه ووضع أحكام لها، وبالتالي كلما ازداد فهماً لقواه ولنظام الطبيعة ازداد قدرته على تحرير نفسه من الأشياء التي لا فائدة فيها (ول ديورانت، 2004، صفحة 130).

ومن هنا اعتقد (فؤاد زكريا) أن سبينوزا استخدم منهجه الهندسي لأنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمحتوى فلسفته، فالمنهج الهندسي عنده يمثل طريقة مصطنعة في التعبير، لذا أخذ بها سبينوزا لأغراض معينة، فلما كانت الأفكار تتجلى لنا بطريقة غير هندسية، فإن في استطاعة الفيلسوف استخدام هذا المنهج بترتيب هذه الأفكار بالشكل الذي يجب أن تكون عليه، فهو يضع الاستدلالات وفي ذهنه النتيجة مقدماً. وبالتالي يستطيع أن يتحكم في تسلسل هذه الاستدلالات وفي مراحلها الوسطى. ويعرضها بالترتيب الملائم للهدف الذي حدده في ذهنه (فؤاد زكريا، صفحة 44).

إن المنهج الهندسي كما يفهمه الخيال مع الموجودات الهندسية وقابليتها لتلقي تحديد توليدي في كتاب (رسالة في إصلاح العقل) ومناسب في (الإتيقيا)، خاصة التلاؤم العميق الذي يتحقق فيها بين المعاني المتحركة والكمالات الهندسية نفسها (جميل دولوز، صفحة 106). وبالتالي يقودنا الخيال إلى صور معرفية بديهية واضحة ومتميزة وتكوين روابط حية مع الصور الأخرى (Geenevieve, 2002, p. 114).

ويكون ذلك من خلال وجود أفكار تمثل تأثيرات الجسم البشري على طبيعة كل الأجسام الخارجية، والجسم البشري ذاته، ويجب أن تنعطف هذه الأفكار لا على طبيعة الجسم البشري فقط، وإنما على طبيعة أجزائه، ذلك أن التأثيرات هي (أنماط) (Patterns) تأثر أجزاء الجسم البشري، وهي التالي أنماط تأثر الجسم بكامله (باروخ سبينوزا، صفحة 115). فالعقل هنا يمثل الإرادة عندما يتعلق الأمر بالعقل والجسم معا (IbId, p. 114).

ومن الجدير بالذكر ان استخدامه لهذا المنهج هو من أجل هدفين وهما:

- 1- يعطي لآرائه الثورية مظهراً بريئاً.
 - 2- يؤدي إلى تفسير أكثر اتساقاً للمشاكل التقليدية التي أخطأ فيهما القدماء (فؤاد زكريا، 2017، صفحة 106).
- وبالتالي نجد أن هناك وسيلتان يمكن بها إخفاء الآراء في المنهج الهندسي والتي اتبعهما سبينوزا وهما:

- 1- الوسيلة الأولى : يستخدم فيها طريقة القضايا والبراهين والنتائج ... الخ.
- 2- الوسيلة الثانية : وتسمى بـ (طريقة المعادلات) (Equations method) التي يتبعها المنهج الهندسي أو الرياضي بوجه عام، فعالم الرياضة يستخدم رمزاً مألوفاً لديه والدلالة الحقيقية لهذا الرمز، وبتطبيق (طريقة المعادلات) هذه الفلسفة وجد سبينوزا الحل الذي يريده والذي يكفل له عرض أجزاء الآراء وأبعدها عن المؤلف في عصره وهو يريد بهذا للخاصة الوصول إلى فهمه (فؤاد زكريا، 2017، صفحة 45).

وبهذا يمثل المنهج الهندسي الركيزة الأساسية لاختبار القدرات الذهنية التي يمتلكها العقل في هندسة الصياغات الفكرية التي يسعى الإنسان إلى تكوينها، فالمنهج الذي اتبعه سبينوزا هو نمط فكري يتخذه العقل البشري من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه.

المحور الثاني : أنماط* التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم

لم يكن نمط التفكير الهندسي حول (الله والعالم) (God and World) تقليدياً، وإنما حاول أن يضع نمطاً مخالفاً لما كان سائداً في تلك الفترة وحتى في وقتنا الراهن نجد أن لسبينوزا لونه الخاص في رسم معالم تفكيره.

(فالله) عند سبينوزا مبدأ ميتافيزيقي نبني من خلاله نظرية كاملة حول ((علم الكائن)) بكل ما يشوبه من موضوعات كمفهوم (الوجود) وأساس نظام الأشياء، بحيث أن صورته الكبرى تكون الإلهي وكل ما يتعلق به، فالله هو (المحرك الأول) هو (الغاية الأخيرة) وهو في حياتنا العملية (مبدأ وقاضي الحياة الأخلاقية)، و هو (النفس) بوصفها خالدة (فقه الفلسفة ، 2014، صفحة 210).

بهذا التصميم كون سبينوزا نظامه الفكري حول الله فجعله البنى الأساسية لبناء كل فكرة تخرج إلى العالم. إذ إن الله عنده يتمثل في (الطبيعة والكون والجوهر) (Nature, the universe and the essence) عقلي ومادي لأنه يمتد في المكان بوصفه شيئاً طبيعياً، وهو أيضاً لامتناه بوصفه شيئاً عقلياً، والعقلي لا يمكن أن يكون

له تأثير على الطبيعي أو الطبيعي لا يؤثر على العقلي، وهذا ما يسمى بـ (مذهب التوازي الكلي) (The doctrine of total parallelism)، وهو يقابل مذهب التأثير المتبادل عند (ديكارت) (وليم كلي، 2010، صفحة 314). والتوازي ليس توازياً تمثلياً لأنه نوع من التوازي الأكثر عمومية سواء كنا نتصور الطبيعة تحت سمة الامتداد أو الفكر أو أي سمة أخرى (Michael, 2008, p. 91)

من هنا جاء العالم عند سبينوزا، ذلك العالم المادي الذي تكمن وراءه الحقيقة الشاملة المسماة (بالجواهر) (essence). ويقصد بالحقيقة، تلك الحقيقة الكائنة وراء الأشياء الموجودة في العالم. أما الأشياء التي تقع تحت عيننا الحسي فهي (أعراض زائلة) فنحن وأفكارنا وأجسادنا ونوعنا الإنساني والأرض التي نعيش عليها ما هي إلا أعراض زائلة ناتجة عن حقيقة خالدة كامنة فيها (زكي نجيب، صفحة 79).

إذن النمط الفكري الهندسي هنا يتعلق (بالقوة الكامنة) فينا وفي الظواهر المحيطة بنا ومقدار القوة التي يغرسها بنها الجواهر أو الله تمثل انعكاساً لقدرته الفائقة على الإبداع.

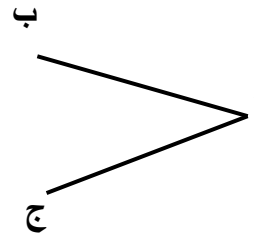
وفي ذلك يقول سبينوزا ((كل ما يوجد إنما يوجد في الله، ولا يمكن لأي شيء أن يوجد أو يتصور بدون الله)) (جارولو سبينوزا، صفحة 45) وهنا نصل إلى أن :

- 1- الجواهر على ذاته.
- 2- الجواهر لامتناه.
- 3- الجواهر واحد (حسون السراي، 2009، الصفحات 79-81)

وهذه هي صفات الجواهر، فالصفة هي ما يدركه العقل من الجواهر على أنه مكون لماهيته، والجواهر اللامتناهي حاصل على ما لا يتناهي من الصفات كل صفة منها تدل على ماهية سرمدية لامتناهية في جنسها (يوسف كرم، صفحة 118).

ويبرهن (سبينوزا) على هذا من خلال ما يأتي : لو كان الجواهر الجسماني لا نهائي، فلنتصوره إذاً منقسماً إلى جزئين : أن كل جزء سيكون إما متناهيّاً وإما لا متناهيّاً، وفي ذلك خلف. أما في الحالة الثانية، فإنه سيوجد لا متناه أكبر مرتين من لا متناه آخر، وهذا لا يقل خلفاً عن الفرضية الأولى، وإضافة إلى ذلك، فإن كان قيس الكم اللامتناهي بواسطة أجزاء طول كل واحد منهما قدم، فإن هذا اللامتناهي سيكون مؤلفاً من عود لا محدود من تلك الأجزاء، ويمكن قول نفس الشيء إذا كان قيس اللامتناهي بواسطة أجزاء طول الواحد منها بوصه. وهكذا سيصبح عدد لا محدود أكبر اثنتي عشرة مرة من عدد لا محدود آخر.

وإذا تصورنا أن خطين (أ - ب) و (أ - ج) ينطلقان من نقطة تنتمي إلى كم لا محدود وأنهما، بعد انفصالهما حسب مسافة محدودة، يمتدان إلى ما لا نهاية له، فمن الأكيد أن المسافة بين (ب و ج) ستزداد بدون انقطاع وستصبح غير محددة بعد أن كانت محددة. ولما كانت هذه الخلوف ناتجة في نظرهم عن كوننا نفترض كمّاً لا محدوداً فإنهم يستنتجون من ذلك أن الجوهر الجسماني محدود لا محالة، وأنه بالتالي لا ينتمي إلى ماهية الله، وأنهم يستنتجون أيضاً برهاناً ثانياً من كمال الله المطلق، إذ إن الله هو في غاية الكمال (باروخ سبينوزا، الصفحات 47-48).

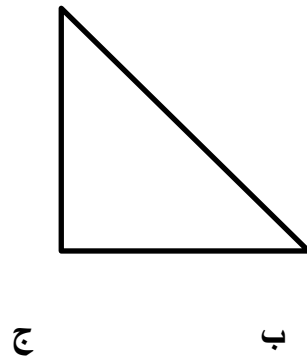


وكلام سبينوزا هذا يؤكد على أن العقل يستطيع أن يستخلص أفكاره كلها من الفكرة التي تمثل أصل الطبيعة ومصدرها ككل، هذه الفكرة هي فكرة الله أو الطبيعة من حيث هي كل. وفي حقيقة الأمر أن سبينوزا يضع فلسفته بمجملها على نحو يجعلها تلزم من فكرة الله بنفس الضرورة المنطقية التي تقتضي تعريف المثلث أن تكون الزوايا الداخلة للمثلث مساوية لقائمتين.

من هذا المنطلق ينبغي علينا أن نبدأ بفكرة الله (كريم متى، صفحة 99).

أ

وهذا ما ميز فكر سبينوزا الهندسي.



إذن فكرة الله هي فكرة شاملة لكل شيء، وأن الظواهر الموجودة في العالم هي ظواهر منفصلة ويسمىها بـ (الطبيعة الطابعة) (Printer Nature) (المبدأ المنفعل)، وهي تمثل الأشياء الجزئية وهي منفصلة عن بعضها عن بعض وليست دائمة وهي أيضاً الله لأنها نابعة منه (وليم كلي رايت، صفحة 121).

ويقدم سبينوزا على ذلك برهاناً قائلاً فيه ((كل ما يتحدد وجوده وإنتاجه لمعلول ما إنما يتحدد بهذا النحو من قبل الله. ولكن لا يمكن لشيء متناه ومحدد الوجود أن ينتج عن الطبيعة المطلقة لصفة إلهية، لأن كل ما ينتج عن الطبيعة المطلقة لصفة إلهية يكون لا متناهيّاً وأزليّاً، وذلك الشيء قد نتج عن الإله أو عن بعض صفاته)) (باروخ سبينوزا، صفحة 61) وبهذا يكون الله بالنسبة إلى العالم كقوانين الدائرة بالنسبة إلى الدوائر كلها. فالله هو السلسلة لسببية الكامنة وراء كل الأشياء، وهو قانون تركيب العالم (installation of the world)، من هنا نقول أن هذا الكون المتماسك من الأعراض والأشياء من الله بمثابة الجسر من تصميمه وبنائه، وتركيبه، والقوانين الرياضية والميكانيكية التي بنى عليها (ول ديورانت، صفحة 135). وهو بهذا الفعل يثبت لنا أنه قد صممه على أساس وعي وانفتاح فكره وتطوره. وربما عمل ذلك نظراً لما مر به عصره من انغلاق وتعتيم للفكر الإنساني فجاء كردة فكر للوضع الذي كان سائداً، فأصر على وضع الوعي فوق مبدأ الإيمان الديني (روجله بول دروا، صفحة 209).

ونتيجة لهذا الوعي نرى أن الأصوات أن تجري في العالم ما هي إلا نتيجة آلية لقوانين الطبيعة الثابتة، وليست هذه الآلية قاصرة على المادة والجسم فقط كما صرح بذلك ديكارت، فسبينوزا يرى أنها تشمل (الله والعقل) أيضاً. (God and Reason) (ول ديورانت ، صفحة 136) فالعقل قادر على فهم ومعرفة الجوهر ولكن هذا لا يعني انه يستطيع الوصول إلى عالم التسامي الذي يتجاوز الوصول إلى العقل (Geenevieve، 2002، الصفحات 109-110)

إنّ الجوهر عنده ينكشف لنا على وجهين، وجه مادي ووجه ذهني، لكن هذا لا يمنع في رأيه من وجود عدد لامتناهي من الصفات الأخرى للجوهر لا تحل إليها المعرفة. الفكر والامتداد ليسا جوهرين وإنما صفتان من صفات الجوهر (حسون السراي، صفحة 82).

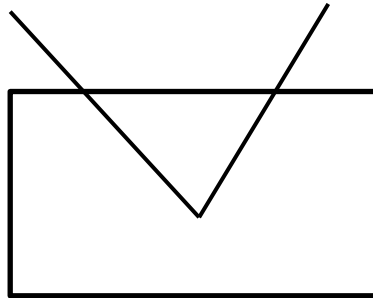
أما العالم الذي نعيش فيه عندما نتساءل عن الكيفية التي تم بناءه فيها نقول: أن سبينوزا رأي أن العالم لا نهائي (infinite)، أي ليس له بدء في المكان، فلو فرضنا جدلاً أن للعالم بداية، وتخيلنا أننا نحن في هذه البداية ونظرنا إلى ما وراءها فماذا كنا نرى ؟ لا شيء واللاشيء لا يستطيع تخيله، فلا بد من شيء وراء بدايتنا

المتخيلة ... أي مساحة لا نهائية من العالم تتجاوز أبعد ما يتخيله الفكر البشري من آفاق ويمثل هذه الطريقة نستطيع أثبات أن العالم ليس له نهاية في المكان (هنري توماس ، 1970 ، صفحة 130).

((فالخيال وحده هو الذي يجعلنا ننظر إلى الأشياء على أنها جائزة، سواء في علاقتها بالماضي أو في علاقتها بالمستقبل)) (باروخ سبينوزا). فالخيال هو أول أنواع المعرفة الثلاث في الاخلاق ويتكون من عدد أنواع الادراك المختلفة (AAron , 2003, p. 182)

فلا نهاية العالم وخلوده أي كليته أو كماله، هو ما يطلق عليه سبينوزا (جوهر العالم) ويعني بالجوهر، الروح - الكيان - الوجود. إذ إن العالم موجود إلى الأبد، فهو موجود في بساطة وعمق وأبدية (هنري توماس، صفحة 162).

وهذه الأبدية هي التي أوجدها الله في كل شيء، فكل شيء في الله، هو العقل الذي يهدي العالم، والعالم الذي يهديه ذلك العقل. أنه الفنان الخالدي الذي ينسج رداء من الكواكب، فالعالم المرئي هو جسم الله، والطاقة التي تحرك العالم هي عقله (المصدر نفسه، صفحة 163)، وهذه الحركة يفسرها سبينوزا هندسياً في كتابه (علم الأخلاق) على النحو التالي : ((عندما يصطدم جسم متحرك بجسم ساكن دون أن يقدر على تحريكه فهو ينعكس بطريقة تجعله يواصل حركته، وتساوي الزاوية التي يرسمها خط حركة الانعكاس مع سطح الجسم الساكن المهذوم الزاوية التي يرسمها مع السطح ذاته خط حركة السقوط)) (سبينوزا، صفحة 99).



وهذا يعني أن نظام الأفكار وارتباطها هو نظام الأجسام وارتباطها بالذات. لكن عندما نعد الأشياء أحوالاً للامتداد فإنه ينبغي أن نفسر نظام الطبيعة كله أو ترابط الأسباب في حدود صفة الامتداد (أي الحركة والسكون)،

أما حين نعد الأشياء أحوالاً للفكر فإنه ينبغي أن نفسر نظام الطبيعة في حدود صفة الفكر. ولا يمكن في تفسير الأشياء الانتقال من مجال الفكر إلى مجال الامتداد أو بالعكس (كريم متى، صفحة 112).

وبهذا اعتمد سبينوزا نمطاً هندسياً في التفكير، إذ عدا لله الجوهر وهو الأساس لجميع الموجودات، وهذا النمط يماثل كتطبيق هندسي معمول به إذ يقام ركن أو أساس يكون هذا المنطلق للبناء المتكامل.

المحور الثالث : النمط الهندسي للإنسان وتغير الذات

ومازلنا نتكلم عن نمط التفكير الهندسي من وجهة نظر سبينوزا فكان لابد من إيجاد العلاقة بين هذا النمط وبين الذات ((لا يعرف الإنسان نفسه إلا من خلال انفعالات جسمه وأفكارها، وعلى ذلك فعندما تستطيع النفس اعتبار ذاتها، فإنها تنتقل إلى كمال أعظم، أي أنها تشعر بالفرح. ويكون فرحها أعظم بقدر ما يكون تخيلها لذاتها ولقدرتها على الفعل أوضح)) (باروخ سبينوزا، صفحة 199).

بهذا النمط قام سبينوزا برسم المخطط الهندسي للإنسان وما يدور فيه من تغيير انفعالاته ودوافعه وبالتالي بناءه الفكري.

إذ إن نظريته في الإنسان تقوم على مسلمات أساسية، فطبيعة الإنسان وماهيته لا تتطوي على الوجود (احمد العلمي، 2015، صفحة 111)، إذ يقول في البديهيات الخمس من الباب الثاني:

- 1- لا تتطوي ماهية الإنسان على الوجود الضروري، أي أنه يجوز وفق نظام الطبيعة، إن يوجد هذا الإنسان أو ذاك أو أن لا يوجد.
- 2- الإنسان يفكر.
- 3- لا يوجد من أنماط التفكير، كالحب والرغبة أو كل ما يمكن أن يطلق عليه انفعالات النفس، إلا إذا وجدت لدى الشخص عينه فكرة ممثلة لموضوع الحب أو الرغبة ... الخ. لكن يمكن أن توجد الفكرة دون أن يوجد أي نمط آخر من التفكير.
- 4- إنا نحس بأن الجسم يتأثر بطرق متنوعة.
- 5- إنا لا نحس ولا ندرك من بين الجزئية غير أجسام وأنماط فكرية (سبينوزا، صفحة 83).

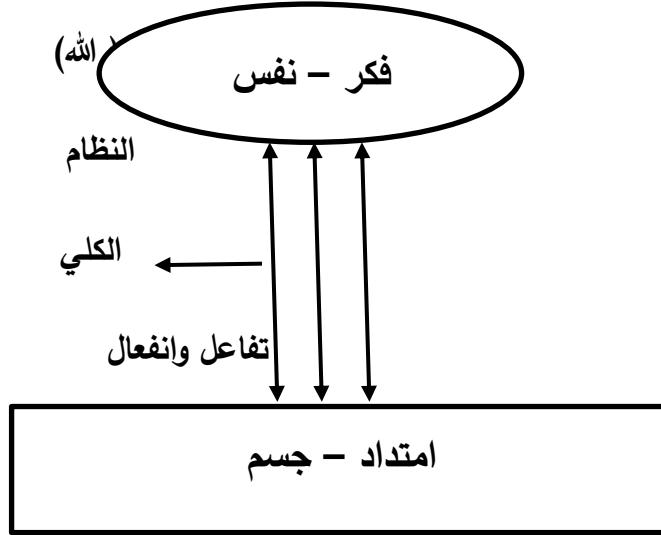
في البديهيات الخمس التي ذكرها سبينوزا يبين فيها أن مجال التغيير الذاتي يكمن في المتغيرات التي تطرأ على الإنسان سواء كانت في الطبيعة أو في الانفعال أو في الحس، والأساس الثابت فيه هو النمط الفكري الذي يكون قادراً على إعطاء المقدار أو المقياس* للمحتوى الفكري الذي يريد بناءه.

ويعني هذا أن سبينوزا يعمل على استخلاص النتائج الأساسية التي تترتب على ذلك الموقف. فمثلاً إذا كانت ماهية الإنسان لا تنطوي على الوجود - كما في البديهية الأولى - فهي إذن لا تنطوي على الوجود. لأن الواجب الوجود هو (الجوهر) الذي يلزمه الوجود بالضرورة (احمد العلمي، 2015، صفحة 111) أي أن حقيقة الإنسان من حيث هو ماهية لا يستطيع أن يوجد وأن يستمر في الوجود إذا لم يكن مرتبطاً بالجوهر وبصفتيه اللتين هما الامتداد والفكر. وهذا لا يعني أن بين الإنسان والجوهر وحدة، أو قد تكون طبيعة الجوهر هي نفس طبيعة الإنسان. فسبينوزا كان حريصاً على اجتناب تسلسل للفكر التشبيهي والتجسيمي بكل أشكاله داخل نسقه الفلسفي. إذ أن الإنسان عنده لا يكون إلا بكون الجوهر وصفاته ولكنه ليس جوهرًا (المصدر نفسه، صفحة 114) ((لا ينتمي كيان الجوهر إلى ماهية الإنسان، وبعبارة أخرى ليس الجوهر ما يؤلف صورة الانسان)). ويكون النمط الهندسي الخاص بالإنسان وكما عرفه سبينوزا الإنسان (باروخ سبينوزا، صفحة 91) .

على النحو التالي : الإنسان يتركب من حال (امتداد) (Extension) هو جسمه، ومن حال فكري (Intellectual) هو نفسه الجسم هو آلة مؤلفة من آلات، والنفس فكر الجسم أي فكرة موضوعها الجسم الموجود بالفعل، إذ أنها تبدأ وتنتهي مع الجسم. وعلتها خارجة عنها تلتصق في أحوال أخرى من الفكر مقابلة لأحوال الامتداد التي هي علة الجسم، والإحساس ظاهرة جسمية.

أما الإدراك فهو ظاهرة فكرية تقوم في تصوير النفس للإحساس وقت انفعال الجسم به، من حيث أن النفس هي دائماً ما الجسم إياه، ف انفعال الجسم معلول لفعل أجسام أخرى، وهذا الفعل يتكيف بطبيعة جسمنا، إذن الإدراك يقابل طبيعة جسمنا أولاً وبالذات مع مقابلته لطبيعة الأجسام الخارجية، والقوانين الطبيعية للفكر هي قوانين التداعي (Association laws) أو الترابط تشبه قوانين الحركة في الامتداد وفكرة النفس عن ذاتها وفكرتها عن جسمها وفكرتها عن الجسم الخارجي هي أفكار غير مطابقة لأن النفس وجسمها والجسم الخارجي أحوال متناهية علها في غيرها من الأحوال المتناهية. والإنسان يعقل ذاته بردها إلى النظام الكلي السرمدى، واعتبارها جزءاً من الجوهر الأوحد وهو (الله) (يوسف كرم، الصفحات 111-120).

ولقد جسدنا ذلك كما في المخطط التالي :



إذن كل جسم بشري هو جزء من جسم النظام الكلي وكل فكرة بشرية جزء من عقل الله؛ فالعالم لا يحكم وفق رغباتنا الفردية، بل وفق مشيئة الله التي شملت كل شيء، هكذا و تدور حوادث حياة الإنسان (هنري توماس، صفحة 164)، وهذا ما طرحه سبينوزا في برهانه التالي: ((عندما نقول أن فكرة ما تلزم في النفس البشرية عن أفكار موجودة فيها على نحو تام، فإن كل ما نعنيه هو أنه توجد فكرة في العقل الإلهي، وإن الله هو علتها، لا باعتباره لامتناهياً، أو باعتباره متأثراً بأفكار عدد كبير جداً من الأشياء الجزئية، وإنما باعتباره مؤلفاً لماهية النفس البشرية ليس إلا)) (باروخ سبينوزا، الصفحات 123-124).

على هذا النحو يكون تصور الطبيعة البشرية وخاصيتها. إذ إن الإنسان مركب من (جسم ونفس)، أي من حال حاضر للامتداد، ومن حال حاضر للفكر يتمثل في فكرة هذا الجسم، ونحن نلتزم جهد سبينوزا الواضح في وسط هذه الآلية الكلية، فردية جسم من الأجسام، هي فردية آلية، حيث تنظم العلل الخارجية مختلف أجزائها على نحو تتناقل معه الحركة فيما بينها وفق نظام ثابت. والفرد نفسه مركب من الآلات أخرى. فجسم الإنسان إذن يمثل آلة شديدة التعقيد ومركبة من الآلات مختلفة لكل آلة لها وظيفتها الخاصة بها (اسيل برهية، 1983).

فالعقل مثلاً هو الذي يكون نفسه ويكون الجوهر الأبدي للجسد معرفة مناسبة بالله وبكل ما ينجم عن ذلك. وبالتالي يصبح سبباً مناسباً للمعرفة فيكون الفيلسوف واع لذاته ولله والأشياء (دومينيك فولشيد، 2011، صفحة 126). وهذا يعني أن الجسم والذهن اللذان يؤسسان الإنسان هما حالان يترتبان على صفات الجوهر الفرد المطلق اللاتناهي، فعند وصولنا إلى الجسم وإلى الذهن فإننا لا ننفصل عن الجوهر، ولا تتقطع صلتنا به، أي أن سبينوزا

يعتقد أن الله ينتج في كل الصفات الخاصة بالجسم وبالذهن في الوقت نفسه وبالكمال نفسه دون فرق أو تفاوت في إنتاجاته فالمساواة هي الركيزة الأساسية في فلسفته.

وفي ذلك يتحدث سبينوزا قائلاً : ((يترتب على ذلك أن قدرة التفكير عند الله مسأوية لقدرته الفعلية على الفعل، أي أن ما ينتج صورياً عن طبيعة الله اللانهاية، ينتج أيضاً موضوعياً في ذات الله عن فكرة الله، وفق نفس النظام والترابط)) (باروخ سبينوزا، صفحة 88). وينتج عن ذلك أن هناك تواز في نظام الأشياء، وتواز في اقترانه، وتواز في وجودها. والتوازيات الثلاثة تسير إلى هدف واحد، وهو الاعتراف بأحادية معنى الوجود. وهذا التوازي يبين لنا النسق الموجود في الإنسان والذي يتكون من (جسم وذهن) (Body and mind) وهو الذي يضمن وهما صفتان للجوهر الفرد. فالإنسان جزء من الجوهر حتى وإن لم يكن سوى تحولاً متناهٍ ضمن تحولاته اللامتناهية (أحمد العلمي، 2015، صفحة 126).

بهذا الشكل توصل سبينوزا ذلك التصميم الهندسي لتركيب الإنسان وبناءه في ظل (الله) أو الجوهر فما ذكرناه سابقاً ينطبق على ما يلي :

إنّ الأشكال الهندسية هي الأشكال التي تطرح مشكلة خاصة، فهي وبكل المعاني تمثل تركيبات وليدة (للعقل) والتجريد وتكون كلية، فهي في البداية تتحدد بخاصية مميزة، إذ هي موضوع قياس وأن هذا القياس دائماً ثانوي وتابع حالة كحال العدد. وهي أشكال تتضمن عدماً. ومع ذلك يمكننا أن نجد علة تامة لوجود الأشكال الهندسية على عكس الموجودات العقلية الأخرى التي تظل دائماً جاهلين بعلاها الحقيقة (جميل دولوز، صفحة 61) ومعنى هذا أن كل شكل هندسي هو نمط عقلي يكون صيغة فكرية عن شكل ما، وبالتالي يتحدد بخاصية معينة تكون موضوع قياس، لكن يظل هذا القياس ثانوي لأنه مرتبط بعلة الوجود الأولى وهو (الله)، إذ إن كل الأشكال الهندسية نابعة منه وعقولنا تبقى معرفتها جاهلة بعلاها الحقيقية.

لكن العقل يستطيع الوصول إلى الحقيقة أو اليقين من خلال مضاعفة قواه لغاية تحقيق أعماله عقلية أخرى، فيستخرج من هذه الأخيرة أدوات جديدة تساعده على مواصلة البحث أكثر فأكثر، ويبقى على هذا الدرب إلى أن يبلغ قمة الحكمة (باروخ سبينوزا، صفحة 176) فالعلم الذي يصل إليه الإنسان هو القوة والحرية، والسعادة الدائمة تكون في طلب المعرفة ولذة الفهم، بهذا يكون نمط حياة الإنسان أثناء طلبه للحقيقة وسعيه وراءها من خلال قواعد سلوك يتبعها ويجعلها نظام حياة (ول ديورانت، صفحة 13)، وهذه القواعد حسب رأي سبينوزا هي :

1- أن يكون حديثنا في مستوى عامة الناس، أي يتحدث بصيغة يفهمها جميع الناس وأن نلبي رغباتهم، وبهذه الطريقة سنجد أنفسنا إذان صاغية للحقيقة.

- 2- أن تتمتع بملذات الدنيا وحيث هذه المتعة لا تؤثر على صحتنا.
- 3- أن لا نرغب في المال ولا في أي خيراً آخر إلا بقدر ما يفيد حياتنا وصحتنا وفي الامتثال لطبائع المجتمع.
- يفيد حياتنا وصحتنا وفي الامتثال لطبائع المجتمع. بهذه القواعد يمكن إصلاح العقل وجعله قادر على إدراك الأشياء إدراكاً يسمع لنا ببلوغ الهدف المنشود. والهدف هو الوصول إلى السمو وإلى مستوى الكمال (باروخ سبينوزا، صفحة 31).

لكني اعتقد أن القاعدة الأولى التي تنص على الانصياع لرغبات الناس، هذه القاعدة تجعل من الإنسان يسير سيراً عن رغبات الآخرين فيصبح منقاداً بدلاً أن يكن قيادياً، أين إرادة تحقيق الذات دون النزول لرغبات الآخرين؟ كيف يستطيع الإنسان يغير ذاته وهو منقاد؟؟ ففي هذه القاعدة لا أتفق مع سبينوزا في النزول لرغبات الآخرين؟.

ويستمر سبينوزا في مشروعه الخاص بنمط التفكير الذي يكون من خلال إصلاح العقل وبالتالي تعد الإنسان فيطرح لنا ضروب من المعرفة يحصل عليها الإنسان وهي:

- 1- يوجد إدراك مكتسب من خلال السماع.
- 2- معرفة تتكون عن طريق إدراك مكتسب عن طريق التجربة المبهمة، أي بتجربة لا يحددها العقل، وهي حدثت اتفاقاً وبقيت راسخة فينا .
- 3- وهناك معرفة تتحقق من خلال إدراك تُستنبط فيه ماهية بعض الأشياء من أشياء أخرى، لكن ذلك لا يتم بصورة مطابقة.
- 4- المعرفة الأخيرة تتم بإدراك الشيء ماهيته وحدها أو من خلال معرفة كلته القريبة (باروخ سبينوزا، الصفحات 31-32).

إن سبينوزا يحاول أن يعرض لنا نمط جديد في التفكير الهندسي تتمثل بإصلاح العقل من خلال إصلاح الإدراك، ويكون ذلك من خلال الخروج من النوع الأول من المعرفة الذي يبدو للمظهر فيه قوة القانون، والارتقاء إلى النوع الثاني العقلاني الذي لا يتجاوز مرحلة الأفكار العامة، ومن ثم الوصول إلى النوع الثالث حيث تتفتح المعرفة الحدسية للجوهر في ظل وحدة الأفكار المناسبة التي تكونها عن أنفسنا وعن الله وعن البقية. إذن المنهج الهندسي هنا هو منهج ترقى المساري نحو الحكمة التي هي وحدت الفلسفة والحياة. فهو صيرورة تحرير وتصحيح لنظرتنا وطريقتنا في الحياة والوجود (دومينيك فولشيد، صفحة 37).

وبهذا نصل إلى أن الذهن الإنساني هو جزء من الفكر الذي هو صفة من الصفات اللامتناهية لله، أي للجوهر الفرد (أحمد العلمي، 2015، صفحة 128)، وفي ذلك يقول سبينوزا : ((أن العلة الفاعلة لأفكار كل من صفات الله والأشياء الجزئية ليست الموضوعات التي تمثلها هذه الأفكار، أي ليست هي الأشياء المدركة، وإنما هي الله نفسه من حيث إنه شيء مفكر)) (باروخ سبينوزا، صفحة 86).

ولما كان الذهن الإنساني جزءاً من الله يعرضه للانفعال بالأجزاء الأخرى، من هنا تنشأ الأفكار غير المطابقة، أي الأفكار المبتورة والملتبسة، ففعل الأجزاء الأخرى ينفلت من قبضة الذهن الإنساني، فهو يظل منفعلاً بأفكاره لا فاعلاً فيها (أحمد العلمي، 2015، صفحة 129).

ويعرف سبينوزا ((الانفعالات (affects) تأثيرات الجسم التي بها تزداد قوة فعله أو تنقص، وتُعاون أو تعاق، وكذلك أفكار هذه التأثيرات)) (باروخ سبينوزا، صفحة 147).

فالمعرفة الذهنية عند سبينوزا متعلقة بالجسم، إذ إنها لا تقوم إلا على انفعالات الجسم، حتى وإن كانت هذه الانفعالات مغلوبة وملتبسة. يلتحق الذهن السبينوزي بالجسم كي يستقي منه مادته الخام، لكي يفترف منه معونة الذي يحق له ويبلوره على شكل معرفة مطابقة (أحمد العلمي، 2015، صفحة 130). وذلك لأنه ((يمكن أن يطرأ على الجسم البشري العديد من التحولات وأن يستبقي مع ذلك انطباعات أو آثار الأشياء وبالتالي صور الأشياء ذاتها)) (باروخ سبينوزا، صفحة 148).

وهذه التحولات تكون بفعل الرغبة التي هي عين ماهية الإنسان من حيث تصورها مدفوعة، بموجب انفعال من انفعالاتها الذاتية إلى فعل شيء ما (المصدر نفسه، صفحة 211)(63). وهذا الانفعال يسبقه دافع أو نزوع لكي يتحقق وجوده، أو قانون بقاء الذات وهو خاصية لكل شيء في الكون، فالإنسان يرغب في تحقيق شيء ما يستحسن وجود دافع، وعند تحقيقه ينتقل إلى حالة أعلى من الكمال يطلق عليها اسم (الخير) (The good) (وليم كلي، 2010، صفحة 126) لكن كيف لنا اختيار الخير واجتناب الشر ؟

هنا يذكر سبينوزا في القضية رقم (15) في كتابه (علم الأخلاق) أن ((الرغبة التي تتولد عن المعرفة الصحيحة للخير والشر يمكن أن تحمدها أو تعويقها رغبات أخرى كثيرة متولدة عن الانفعال التي تفهرتا)) (باروخ سبينوزا، صفحة 245). وهذا معناه أن الإنسان لا يستطيع الإفلات من الانفعالات التي ترافقه لأنها جزء من النظام العام للطبيعة وهو ينقاد لها وفق ما تقتضيه طبيعة الأشياء (المصدر نفسه، صفحة 238).

وذلك لأن كل ما يحدث في الطبيعة هو عرضه للانفعالات فهي تترك أثراً في الجسم الإنساني، وهذه الانفعالات متولدة عن هذه الأجسام الآتية من الخارج، وهي تشير إلى حالتنا أثناء تلقينا للأثر الآتي من الخارج. وهي علامات آتية، أي علامات تشير إلى حالة جسمنا في وقت محدد ومعين (احمد العلمي، 2015، صفحة 133)(67). فإذا كانت الفكرة عن الانفعال الداخلي أو الانفعال الذاتي الداخلي تجسد التكامل الداخلي بين ماهيتنا وباقي الماهيات وماهية الإله فإن الانفعالات أي الأحاسيس التي تنتج حينها ستكون هي عينها انفعالات موجبة، وبالتالي تصبح هذه الانفعالات والأحاسيس الفاعلة مجرد غبطة ومحبة لكنها من نوع خاص. لأنها ستظل محكومة بالتزايد الذي يلحق بجمالنا أو قدرتنا على الفعل، وستصير وليدة لتحصيلنا التام والكامل لهذه القدرة أو الكمال (جميل دولوز، صفحة 65) وهنا يأتي فعل (الديمومة) والتي يقصد بها سبينوزا فعل الاستمرار في الوجود، فالديمومة تكون هي التحولات المعيشة التي تحدد الانفعالات الدائمة والمروء المستمر نحو كمالات أكبر أو أقل، والتنوعات المستمرة في القدرة على الفعل لدى هذا الحال الموجود (المصدر نفسه، صفحة 79). وعندما يصل الإنسان إلى الكمال معنى ذلك وصل إلى السعادة التي هي الهدف الأساسي من فلسفة سبينوزا.

وهذه السعادة لا تأتي الا من خلال نشر الخير، لذا اجتهد سبينوزا القضية التي يطرحها سبينوزا هي أن " الخير الاسمى بالنسبة إلى النفس إنما هو معرفة الله، فأسمى فضائل النفس أن تعرف الله" (باروخ سبينوزا، صفحة 255).

وعندما يعرف الإنسان الله معرفة حدسية يملك إلا أن يحبه وهذا اما يسميه سبينوزا ب (الحب العقلي لله) .

وإذا استبدلنا بالله الطبيعة يمكننا القول ان سعادة الإنسان القصوى تقوم في معرفة الطبيعة ومعرفة قوانينها معرفة واضحة وكافية من منظورها الأزلي الذي لا يكون فيه مجال لما هو حادث أو ممكن بل كان شيء فيها يتكون بالضرورة (كريم متى، صفحة 119) .

إذن الإنسان يسلك على مقتضى قوانين طبيعية عندما يكون عينه على مقتضى العقل، وعلى هذا الأساس تتفق طبيعة دائماً وبالضرورة مع طبيعة إنسان آخر (باروخ سبينوزا، صفحة 262) . ويشبه سبينوزا الإنسان في حياته بحجر ملقى لا يملك في نفسه اختياراً، إذ لو وهب شيئاً من الشعور لزعم مع ذلك إنما يسير في هذا الاتجاه المعين برغبته، وهو الذي رسم لنفسه مكان السقوط. وما دامت الأعمال البشرية تسير وفق قانون ثابت كقوانين الهندسة مثلاً فيجب ألا يدرس الفيلسوف النفس الانسانية إلا كما يعالج جماداً، وهذا السلوك الإنساني مكن "سبينوزا" من أن يخرج الناس بحثه في الأخلاق (زكي نجيب، الصفحات 84-85) .

وتمثل نظرية الإيثار لدى سبينوزا واحدة من أكثر النظريات ابتكاراً وهي جزء من فلسفة ، وهي تصور بطريقة حاسمة ما أسماه فرويد بـ "العزبة النرجسية على الأنا" (Spinoza , p. 45) .

والسلوك الانساني يعتمد على ما هو صالح أو طالح إذ ستحدد ذلك وفق الانفعال الايجابي أو السلبي.

وامتلاك الانسان الأفكار غير المطابق وكون تتجه من الانفعال السلبي، أما الفكرة المطابق فهي ناتجة من الأفعال الايجابي فهي التي تظل متعلقة بالعلل الخارجية (احمد العلمي، 2015، صفحة 252) ، وفي ذلك يتحدث سبينوزا قائلاً: " من المحال الا يكون الانسان جزءاً من الطبيعة وألا يتأثر الا بالتغيرات التي يمكن معرفتها بطبيعة وحدها والتي هو علتها التابعة" (باروخ سبينوزا، صفحة 537) ، والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف يمكننا اجتتاب فعل الشر ؟ كيف يمكننا التحدي للأفكار غير المطابقة؟. ويجيبنا سبينوزا قائلاً: " ليس ما يحدد قوة الانفعال ونموه واستمراره في الوجود القوة التي بها ندأب على الوجود، وإنما يتحدد كل ذلك بقوة العلة الخارجية مقارنة بقوتنا التخصصية (باروخ سبينوزا، صفحة 238).

وبالتالي نصل إلى تحقيق الفضلية التي كان يهدف سبينوزا إلى تحقيقها ، إذ إن البحث عن النافع والصالح لايعني التهافت على كل نافع وكل صالح حتى وان أتيا من الخارج ، أي ان النافع الذي يترفع على الماهية الفعلية للإنسان ، أي النافع الذي يترفع على الطبيعة الذاتية للإنسان أي لا ينبغي لسعي الإنسان أن يكون وراء النفع الذي بـماهية الحب والخيال، وإنما وراء النفع الذي يميله العقل وتصرف العقل وهنا يقترب البعد الاتيقي الاخلاقي بالبعد المعرفي (احمد العلمي، 2015، صفحة 252) ، ويصل سبينوزا في نمط تفكير الهندسي الخاص بالإنسان والاخلاق من خلال طرحه القضية من (الباب الخامس) في كتابه (علم الأخلاق) قائلاً: " حتى لو كنا لا نعلم أن أنفسنا خالدة ، فإن الأخلاقية والدين ، وعلى وجه الإطلاق كل ما بيننا في الباب الرابع أنه يتطلب رباطة الجأش والمروعة والأريحية ستظل في نظرنا أموراً رئيسية (باروخ سبينوزا، صفحة 349).

أو تعوقها رغبات أخرى كثيرة متولدة عن الانفعالات التي تقهرنا وهذا معناه أن الإنسان لا يستطيع الإفلات من الانفعالات التي ترافقه لأنها جزء من النظام العام للطبيعة وهو ينقاد لها وفق ما تقتضيه طبيعة الأشياء (المصدر نفسه، صفحة 238).

وذلك لأن كل ما يحدث في الطبيعة هو عرضه للانفعالات في تترك أثراً في الجسم الانساني، وهذه الانفعالات متولدة عن هذه الاجسام الاتية من الخارج وهي تشير إلى حالتنا أثناء تلقينا للأثر الاتي من الخارج، وهي علامات آنية أي علامات تشير إلى حالة جسمنا في وقت حمود ومعين (احمد العلمي، 2015، صفحة 133). فإذا كانت الفكرة عن الانفعال الداخلي أو الانفعال الذاتي الداخلي تجسد التكامل الداخلي بين ماهيتنا

وباقى الماهيات وماهية الإله، فإن الانفعالات أي الأحاسيس التي ستنتج حينها ستكون هي عينها انفعالات موجبة ، وبالتالي تصبح هذه الانفعالات والاحاسيس الفاعلة محدد غبطة ومحبة لكنها من نوع خاص. لأنها ستظل محكومة بالتزايد الذي يلحق بكمالنا أو قدرتنا الفعل ، وستصير وليدة لتحصيلنا التام والكمال لهذه القدرة أو الكمال (جيل دولوز ، صفحة 60)، وهنا يأتي فعل (الديمومة) والتي يقصد بها سبينوزا فعل الاستمرار في الوجود ، فالديمومة تكون هي التحولات المعيشية التي تحدد الانفعالات والانتقالات الدائمة والمروء المستمر نحو كمالات أكبر وأقل ،والتنوعات المستمرة في القدرة على الفعل لدى هذا الحال الموجود (المصدر نفسه، صفحة 79) ، وعندما يصل الانسان إلى الكمال معنى ذلك وصل إلى السعادة التي هي الهدف الأساسي وبالتالي تم تغيير ذاته.

الخاتمة

توصلت من خلال بحثي إلى النتائج التالية:

- اعتمد سبينوزا في نظامه الفكري نمطاً هندسياً جعله المنهج المتبع في صياغاته الفلسفية ، حيث تبنى مبدأً ميتافيزيقياً يدو موضوعه حول (الله والطبيعة) على أساس أن الله هو المنبع الأساس لكل الموجودات في الطبيعة.

ومن ضمن تصميم سبنوزا الهندسي أنه أوجد ذلك العالم المواز بين (الله والطبيعة) ، فالله هو العلة الأولى وهو في حياتنا اليومية مدبر كياناتنا الاخلاقية.

- أكد سبينوزا على أهمية العقل الذي لديه القدرة على الفهم والوعي وعلى معرفة (الجوهر) وأيضاً لديه القدرة على التسامي والترفع عن الرذائل والشور للوصول إلى ذلك الانسان الكامل وبالتالي الوصول إلى السعادة، وهذا يعد نمطاً هندسياً للتفكير الذي هو غاية ومنتهى سبينوزا.

- بما أن العالم بوصفه الطبيعة المطبوعة انبثق من (الله) الطبيعة الطابعة ، هذا يعني أن هذا الانبثاق يمثل جزءاً من الابدية (اللانهاية) وهي بهذا تكون صفة من صفات (الله). وقد طبقها على النفس الانسانية وانفعالاتها وتحولاتها وهي جزء من المعاملات الاخلاقية اليومية التي يتعامل معها الانسان بحياته اليومية.

- يكون النمط الهندسي الخاص بالإنسان على أساس ان الانسان ليس جوهرًا وانما جزءاً من الوجود الذي أوجده الجوهر . أي انه يتكون من (فكر وامتداد) أي (نفس وجسم) . وأودع فيه القدرة على تنظيم الحالة النفسية من خلال العقل والحالة الجسمية من خلال تنظيم الغرائز.

References

1. A Acon V. (2003). *Meaningin Spinoza's Metod*. Cambridg Uniresity Press.
2. Genevieve Lioyd. (1996). *Spinoza and the Ethics*. London- New York.
3. Michael Della Rocca. (2008). *Spinoza* . London- New York.
4. Willi Goetschel . (2004). *Spinoza's Modernity*. Wisconsin Press.
5. احمد العلمي. (2015). *فلسفة الوجود والسعادة عند سبينوزا ، افريقيا الشرق - المغرب* .
6. أرسطو. (1980). *المنطق*. بيروت - لبنان.
7. أميل برهية. (1983). *تاريخ الفلسفة القرن السابع عشر*. بيروت - لبنان : دار الطليعة للطباعة والنشر.
8. باروخ سبينوزا. (1990). *رسالة في اصلاح العقل*. تونس: دار الجنوب للنشر.
9. باروخ سبينوزا. (2009). *علم الأخلاق*. بيروت - لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
10. جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي*. بيروت- لبنان : دار الكتاب اللبناني.
11. جيل دولوز. (2015). *سبينوزا فلسفة عملية*. الدار البيضاء - المغرب: دار توبقال للنشر.
12. حسون السراي. (2009). *مفهوم الجوهر في الفلسفة الحديثة*. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
13. دومنيك فولشيد. (2011). *المذاهب الفلسفية الكبرى*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
14. روجيه بول دروا. (2014). *فقه الفلسفة*. دمشق - سوريا: دار الفرقد.
15. روزنتال. (1987). *الموسوعة الفلسفية*. بيروت - لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
16. زكي نجيب. (2019). *قصة الفلسفة الحديثة*. لبنان ، بغداد : دار النخيل للطباعة والنشر.
17. غفار سكريبك. (2012). *تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين*. بيروت: بيت النهضة.
18. فؤاد زكريا. (2017). *سبينوزا*. مؤسسة هنداوي.
19. كرم متي. (2001). *الفلسفة الحديثة (عرض ونقد)*. بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
20. محمد مهران). بلات. (علم المنطق. مصر: دار المعارف.
21. هنري توماس. (1970). *المفكرون من سقراط إلى سارتر*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
22. ول ديورانت. (2004). *قصة الفلسفة من افلاطون إلى جون ديوي*. بيروت - لبنان: منشورات مكتبة المعارف.
23. وليم كلي رايت. (2010). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. بيروت - لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
24. يوسف كرم. (2012). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. مؤسسة هنداوي.

* التفكير: هو الموقف العقلي للشخص الذي يتجنب التسرع في اطلاق الاحكام ويشير ايضاً الى التركيز الذي بموجبه يطلق الذهب افكاره ويحلل مشاعره، ويحمل التفكير النفسي او تحليل الذات اسم التأمل الباطني او الفحص الباطني وقد يتخذ مفهوم التفكير معنى نفسياً وميتافيزيقياً. ديديه جوليا، معجم الفلاسفة والمصطلحات الفلسفية، ت: فاديا قرعان، دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت-لبنان، 2016، ص71.

* يرجع أصل نشوء الهندسة الى العالم القديم في (مصر وبابل واليونان) حيث كانت نتيجة ما يتطلبه الانتاج (قياس الأراضي والسطوح ... الخ) ، وتحولت عند اليونان الى نظرية استنباطية على يد (أقليدس) وفي القرن السابع عشر قام (ديكارت) بأدخال مفهوم الاحداثيات الذي كان علامة على نشوء الهندسة التحليلية التي نتجت عنها الهندسة التفاضلية . روزنتال ويودين ، الموسوعة الفلسفية ، ت: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان ، 1987، ص561.

* سبينوزا: فيلسوف هولندي ولد في عام (1632) في امستردام ابن تاجر يهودي ، اراد والده ان ينشئه تنشئة دينية فبعثه الى مدرسة حاخام فتعلم اللغة العبرية وتلقن اصول التلمود ودرس اللغة اللاتينية وهذا ساعده على التعرف على فلاسفة القرون الوسطى مثل توما الاكويني وابن ميمون، وفلاسفة عصر النهضة مثل مارسيل برونو وفلاسفة العصر الجديد مثل بيكون وهوبز وديكارت، حيث تأثر بديكارت، ويعتبر سبينوزا من افضل الفلاسفة المحدثين الذين اطلقوا مفهوم (وحدة الوجود)، من ابرز مؤلفاته (علم الاخلاق) ، (رسالة في اللاهوت السياسية)، (رسالة في اصلاح العقل)، توفي عام (1677). ينظر كل من : جلال الدين سعيد: سبينوزا والكتاب المقدس (المراسلات)، مكتبة التنوير، الدار البيضاء- المغرب، 2017، ص8-9 وكذلك ديديه جوليا، معجم الفلاسفة والمصطلحات الفلسفية، ص132 وكذلك

Indigo cosmo , publication, dictionary of philosophy, New Delhi, india, 2002.P388.

* النمط: في اللغة هو الطريقة او الاسلوب والجماعة من الناس امرهم واحد ، وهو النوع او الطراز من الشيء ، ويطلق على النموذج المثالي الذي تجتمع فيه اكمل الصفات الذاتية بنوع الاشياء، ويطلق ايضاً في علم النفس التحليلي على الطريقة الاساسية التي يصطنعها المرء لتوجيه طاقاته النفسية. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2008، ج2، ص507.

* المقياس : يعرف أرسطو القياس بأنه قول اذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم من تلك الأشياء الموضوع شياً آخر من الأخطار . ارسطو ، المنطق ، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، ج3، بيروت-لبنان ، 1980، ص142.